

فضاء الشخصية

في رواية السيف والكلمة لعماد الدين خليل

د. ديوالي حاجي جاسم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تنوعت ثقافة المؤرخ الأديب عماد الدين خليل فتكاثرت إثر ذلك نتاجاته، وتأتي رواية (السيف والكلمة) كثمرة ناضجة لتجربته الطويلة، ومعاناة العراق الكبيرة، وعبر أزمان مديدة، فهي تصور فترة عصيبة من تاريخ الأمة الإسلامية، ولعل التاريخ أعاد نفسه على رؤوس العراقيين.

لذلك ارتأيت اختيار هذه الرواية لدراستها عبر شخصياتها، من خلال فضاءات تنوعت وتوسعت على جميع فصول الرواية.

فمهدنا بإيجاز لمصطلحي الفضاء والشخصية، ثم اتبعنا ذلك بنبذة عن الرواية ومغزى التسمية ومدى توافقها مع رؤى المؤلف.

ثم قسمنا دراستنا على فضاءات أربع وفق مباحث هي:

١- المبحث الأول: الفضاء الخارجي

٢- المبحث الثاني: الفضاء الداخلي

٣- المبحث الثالث: الفضاء الوظيفي

٤- المبحث الرابع: الفضاء الاسمي

وحركة الشخصيات في جسد الرواية أفضت إلى امتلاء الرواية بالأحداث والتشويق، وهذا أدى إلى تقديم الشخصيات وتجليها وفق الفضاءات المحددة، وظهور دورها المؤثر، لتكون قريبة من القارئ، صديقا وفيها له، فضلا عن كونها ممثلا ناجحا للمؤلف.

التمهيد

مواجهة المفاهيم التي تتكون منها هذه الدراسة، شكل من اشكال الهدي الى معرفة مفاهيمية، تمكن حالة القراءة من الوقوف الخارج اشكاليات اللبس الاصطلاحي، لذا نحين المصطلحات الواردة فيها ونجعلها في حضور معرفي يعزز الغايات التي تتوخاها هذه الدراسة.

أولاً: (الفضاء)

دلالات الفضاء في معاجمنا اللغوية تأخذنا الى معاني المساحة والمكان واتساع الارض(١) وجل ما موجود فيها مرتبط بالمكان.

ويرى بعضهم أن الفضاء يشمل الزمان والمكان ليس كما هما في الواقع، وإنما (كما يتحققان داخل النص مخلوقين ومحورين من لدن الكاتب، ومسهمين في تخصيص واقع النص، وفي نسج كلمته المميزة (٢)).

فتبعاً لما ذكر تتجه الدراسات في هذا الشأن الى دراسة الزمان والمكان، إما منفصلين أو متلازمين في النصوص الروائية.

يعتبر البعض ان سؤال الفضاء يكمن في تجاوز العائق النظري الذي يجعل النص الادبي - بوصفه نصاً لغوياً - زمنياً بالضرورة (٣).

لكن ارتباط الفضاء بالشخصيات قضية لا جدال فيها، فالفضاء الروائي كما يرى منيب محمد هو (الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث) (٤)

ولأن الترجمة من الغرب اوقعتنا في اشكالية المصطلح بين الفضاء والحيز، لذا يرى عبد الملك مرتاض ان (الحيز) يقابل المصطلحين الفرنسي والانكليزي (Espase,spase) ويؤثره على الفضاء، لأن الفضاء مصطلح قاصر يكون معناه جارياً في الخواء والفراغ، بينما الحيز عنده ينصرف الى التنوء والوزن والثقل والحجم والشكل.. وحتى المكان، فإنه يوقفه على مفهوم الحيز الجغرافي وحده (٥).

فالفضاء الروائي هو (الفضاء المؤمن الذي تتحرك فيه الشخصيات بناء على درجة إدراكها لهذا الفضاء ووعيها بقضاياها، انسجاما مع مصلحتها)(٦).

حتى ان رولان يورتوف يقترح في دراسة تنظيم الفضاء في الرواية، ان نقدر وظائف الفضاء في علاقتها مع شخصيات(٧).

نفهم مما تقدم أن الفضاء هو الحيز المترامي الأطراف في جسد الرواية والذي تشغله الشخصيات في تحركها على مختلف المستويات، المادية والنفسية والوظيفية والاسمية.

ثانيا: (الشخصية)

كلمة الشخصية مشتقة من شخص يشخص، خرج من موضعه الى غيره، والشخص سواد الانسان يرى من مكان بعيد(٨)، كما انها تدل على كل جسم له ارتفاع وظهور، والشخصية صفات تميز الشخص عن غيره(٩).

وتاتي كلمة الشخصية في اللغات الاوروبية مشتقة من(Person) وهو القناع الذي كان يلبسه الممثل في العصور القديمة ليظهر امام الناس بمظهر معين(١٠).

لكون الرواية جنسا أدبيا أثيرا لدى الكتاب والقراء، فقد حازت على اهتمامات النقاد والدارسين، وبقيت مع ذلك محل نقص وغموض واضطراب، لاسيما ما يتعلق من دراساتهم بالشخصية(١١)، وذلك لصعوبة تحديد تعبير الشخصية الأدبي(١٢).

يقودنا هذا الى مواجهة الشخصية الروائية كما هي، لأنها ليست مجرد نسيج من الكلمات بلا أحشاء، لذا يبدو اعتماد التأويل في تحليل الخطاب الروائي اختيارا يعيد للشخصية الروائية طابع الحياة كما يحافظ عليها ككائن حي(١٣)، فالشخصية، كائن له سمات إنسانية ومنخرط في افعال إنسانية في مختلف انماطها وأقوالها وأفعالها ومشاعرها(١٤)

والكاتب يتفنن في تجسيد رؤيته وأحاسيسه بالواقع من خلال شخصيته الروائية، لأنها تعد ركيزة الكاتب الاساس في بيان وكشف القوى المحركة حولنا، وديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية ههنا تكسب أهميتها في كونها دعامة الرواية الأساس حتى يعد البعض ان لا وجود للرواية بدونها(١٥).

وفق هذا تتجلى فلسفة الكاتب في الحياة من خلال شخصياته المسخرة لوقوع الأحداث وتطورها، فيستبد بها في تقنيات اجراءاته وتصوراتها.

فلا بد من وجود حقيقي وواقعي للشخصية حتى يساعد ذلك على بناء الشخصية بملامح دقيقة، وليس فقد النقاط صور منها في الحياة المعاشة، وإنما إعادة صياغتها وتشكيلها لتكون الشخصية الروائية حينئذ محصلة لكثير من الشخصيات الواقعية في الوقت نفسه (١٦). فالشخصية عالم معقد شديد التركيب، تتعدد بشكل رهيب تبعاً للأهواء والآيدولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس البشرية وطباعها، لذا لا يوجد لتنوعها واختلافها حدود تذكر (١٧).

فهذه الشخصيات في تنوعها الهائل تحتاج إلى فضاء، تستخدم الصراع بينها فيه داخليا وخارجيا، لتتشوق الرواية بين يدي المتلقي، فتكتمل عنده القناعة أنها شخصيات واقعية قد تمثلت رؤى وقناعات الروائي في حركتها من خلال جسد الرواية المتباين في تضاريسه.

فدلالة الوجود والظهور مع السمات المميزة سابقة على الشخصية، في تمثيلها المجازي وراء قناع متخيل، يؤثر على الآخرين ويقنعهم بحمالات فكرية متزايدة.

حصر النقاد والباحثون الشخصية في أبعاد، يمكن بمقتضاها تشخيص ملامح الشخصية القصصية، لكن دون أن يتفقوا على تلك الأبعاد، فهناك من قيدها بأربعة أبعاد هي (١٨)

١- البعد الجسمي

٢- البعد الاجتماعي

٣- البعد النفسي

٤- البعد الفكري

وهناك من اكتفوا بثلاثة، هي (١٩):

١- البعد الخارجي ٢- البعد الداخلي ٣- البعد الاجتماعي

واكتفى بعضهم ببعضين فقط، هما الخارجي والداخلي (٢٠).

ولغرض الوقوف على وصف متكامل لشخصيات رواية السيف والكلمة سنتناولها وفق الفضاء الخارجي والداخلي والوظيفي والاسمي، حتى تبدو المنظومة المتنوعة متناسقة في كشف تلك الشخصيات في جوانبها المتنوعة.

ثالثاً: المؤلف والرواية

الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل (٢١)، في روايته الموسومة (السيف والكلمة) لا ينتصر لإحدى الكلمتين على حساب الأخرى بل يرغب في أن يتعانقا معاً، لاسيما حينما تمر الأمة بظرف عصيب كما حصل في غزوة المغول للعالم الإسلامي وإسقاطهم للخلافة الإسلامية، وتكرار مشابهاتها في دول إسلامية معاصرة، لأن التاريخ يعيد نفسه، بأحداثه وأشخاصه، لذلك هو يرى ان الكبار ما تركوا لنا غير الكلمة.. غير انه في كتابه هذا وجهنا الى ان نمح الغطاء الكافي لكلماتنا وإلا اصبحن كالورق الذي تعبت به الريح.. فالقوة المادية هي التي يمكن أن تحمي الروح والقيم والمقدسات (٢٢).

ومن هنا تتساءل شخصياته الفاعلة في الرواية عن موقع الكلمة في زمن لا سيف فيه؟ تحميه وتدافع عنه، او تكون مذبوحة في ظل سيف الغازي، فلا قيمة عندئذ لتلك الكلمة (٢٣) فرؤيته للسيف والكلمة معاً انهما قادران على انهاض الأمة من رقدتها وإلباسها شرف العزة المفقود، في زمن تأكل العقول والسيوف معاً!!!

المبحث الأول: الفضاء الخارجي

يتسنى رؤيته في الحيز الممتلئ نتيجة حركة ريشة الروائي في رسم شخصياته، وإبراز ملامحها والرغبة في تقديمها بما يوائم رؤاه وقناعاته.

فرسم الملامح المجسمة للشخصية تعد من أركان التشخيص، وتساعد على تقديم صورة استهلاكية كاملة لها، ومن ثم تتكفل أحداث الرواية بتعزيز سمات تلك الشخصية (٢٤)

من هذا المنطلق يخلع الروائي على شخصياته اوصافا معينة، بغية تحديد مظهرها الشامل، فيتبنى وصفا شاملا لها من ناحية الجسم والملابس والمقتنيات الشخصية ذات الصلة بالشخصية.

ومن سمت بعض الروائيين تقديم البطاقة التعريفية للشخصية على طريق وصف المظاهر والملامح الخارجية لها، حيث يصف شكلها العام وسلوكها وحركاتها بل حتى ملابسها ومستلزماتها الخاصة (٢٥).

فهذا الوصف للشخصية في الرواية يمثل: (رؤية الكاتب الى العمل الروائي ككل وتوجيهه توجيها يتلاءم وحركة الرواية، فيجعلها بسيطة او نمطية او يصعدا الى درجة الترميز، حسب رؤية الكاتب للوظيفة التي يجب ان تقدمها الشخصية في بناء الرواية) (٢٦)

لذا يهدف الروائي في رسمه لشخصياته بالكلمات الى خلق قناعة من لدن المتلقي بان شخصياته في الرواية حقيقية وواقعية وليست خيالية وافية، كما يؤدي هذا الوصف مهمة التحميل والتزيين.. للأبطال والشخصيات الرئيسة (٢٧).

في تقديمه للشخصيات يركز عماد الدين خليل على الملامح التي تعطي دلالات على حركة الشخصية وتعبر عن مكنون نشاطها كأثر ونتيجة لما تعانیه.

فالوليد الذي هو بطل الرواية والشخصية الرئيسة فيها، في منتصف العشرينيات من عمره.. شاب له طموح كبير جدا، يرتد باحات العلم في المستنصرية... يضحك كثيرا مع زملائه، وبيتسم في حواراته التي تتطلب ذلك (٢٨)، شخصية فاعلة لا تعرف قسما وجهه ولون شعره وطول قامته، وكأن هذا غير ذي اهمية عند الكاتب فيهملها!! اضف الى ذلك اننا لا نعرف عنها نوع الملابس الذي تلبسه هذه الشخصية وألوانها ..

وفي الحالات التي تتطلب شيئا من الوصف يتحرك قلم الكتاب لالتقاط صورة لهذه الشخصية الرئيسة على لسان اخته حنان، اذ تقول: (جاء الوليد على عجل، كعادته دائما، كان شاحبا أكثر مما يجب وكأنه يعاني من جوع قديم...

وقال الوليد: وأمي ؟

فأشرت بابتسامة مصطنعة الى المطبخ، وأنا أرثي في سري لهزاله الملحوظ.. عيناه كانتا قد اندفعا الى الداخل قليلا، هكذا خيل إلي بينما برز المحجران مجسدين أكثر فأكثر ما يعانيه من تعاسة وعذاب(٢٩).

هذا الوصف يتكرر بإيجاز على لسان حنان، فالوليد يزداد شحوبا في الوجه وضعفا في الجسم بصورة عامة يوما بعد يوما وعيناه عميقتان كبئر ينم على اصراره القديم، وفي اشارة اخرى يتبين لنا انه يلبس عمامة فهو يتناولها اخته بعد ان ينظر اليها بامتنان(٣٠).

ترك المؤلف الشخصيات المرافقة للوليد في احداث الرواية كي تصفه لنا وآخريهم هو والده (سليمان)، فبعد جهات مضني ضد المغول في أروقة بغداد، يرجع الى البيت فيصفه والده(ما من مرة كان على هذا القدر من البؤس والشقاء.. كأن حزن العالم يضغط على رأسه الآن.. البحث عن ذرة رعب في عينه فلا اكاد اجدها.. اجد بديلا عنها التعاسة والعذاب.. الطين يلطخ رداءه، ورشاش الدم يمد خيوطه على قميصه الممزق..)(٣١)

ونجد الكاتب يبرز علامة لشخصية، هي بحد ذاته نظرته إليه، كما فعل مع الشاب اليهودي (يونان)، فألف علامة تطلق من وجهه المجتعد(رغم) انه لم يتخط بعد عتبات الشباب(٣٢).

وهذه الخلفية الثقافية هي نفسها شاخصة بيد المؤلف في تعامله الظاهري مع الشخصية الثانية في الرواية التي هي (عبد العزيز) في خطها المعارض للبطل (الوليد) فكل ما تسعفنا عبارة عن عينين غرانتين ووجه شاحب أصفر، وبالرغم من محاولته رسم ابتسامة على وجهه لكنها صعبة عليه بل لا يستطيعها(٣٣).

ففي تحركه ضد التيار وعمالته للمغول بوظيفة مسبقة في الرواية، حكم عبد العزيز على نفسه بالمجهول والعيش خارج الزمان والمكان .

ولأن المرأة خط أحمر والمحرمات الشرعية تحيط بها من كل جانب، فكلها على بعضها يصفها البعض بالعورة، نجد عماد الدين خليل يقتصد كثيرا في ابراز ملامحها بالرغم من نطقها بوصف حالات الشخصيات الأخرى، فأم الوليد بالرغم من كبر سنها وشيخوختها ورأسها

الاشيب الذي يطبع عليه الوليد قبلة لا نعرف شيئا عن شكلها وملابسها وضخامتها وقامتها وما الى ذلك (٣٤).

وحتى حنان التي تقف على بعد واحد من الشخصيات الاخرى كوالديها وشقيقها وخطيبها، وفعاليتها في وصف الشخصيات الأخرى فهي ترتدي قميصا وملاءة وخمارا هز كيان عبد العزيز لدى رؤيته لها، فيصفها قائلاً: (المحها على بعد خطوات تماما: لا تعبرني التفاتا.. لم تتجاوز النظرة جزء من اللخطة... والتفت ورائي مندهشا.. كانت قد ابتعد قليلا، وكانت ذؤابة خمارها الأرجواني تتأرجح بفعل النسيم، ملوحة بما تخيلته وعدا) (٣٥).

ويسبب أحداث بغداد العظام وغرقها في همومها وأحزانها الشخصية والعامية، تتغير حنان الى درجة يخشى عليها الام الحنون مما اصابها لتصرخ قائلة (انك تزدادين هزلا يا حنان، ووجهك الذي كان يفيض حيوية، يزداد شحوبا يوما بعد يوم) (٣٦).

وهكذا نظن ان الكاتب يضمن علينا بالوصف الخارجي لشخصياته إما اقتناعا بكفاية ما تم إيرادها او كي يتشارك معه المتلقي بخياله في تكملة رسم تلك الشخصيات، كي يتعلق بها أكثر وكأنها واقعية قد عاشها وليس من صنع خيال الروائي.

وإذا اقتربنا من (سليمان) والد البطل، فعدا وصفه العام بأنه بدأ يشيخ ويلبس عمامة ويضع فوق رأسه قلنسوة، هذا فضلا عن عباءته وسترته، فإننا نلمح تناقضين في وصفه:

الأول: يتعلق بلحيته فتصفه حنان بان لحيته بيضاء، ويؤكد ذلك الوليد في رؤيته لوالده بأنه اطل عليه بلحيته البيضاء التي تقطر صفاء، في حين وبعد احداث متوالية في الرواية واعتداد الايام نجده يصفه بان لحيته قد اكتسحها الشيب في الايام الأخيرة، يحصل هذا ونحن نقرب من نهاية الرواية، وكأنها لم تكن كذلك، بل فعل الاحداث المحزنة والهموم العظيمة هي التي أثرت فيه وفي لحيته أيضا (٣٧).

والثاني: متعلق بسبحته فنجده مرة يوصف بأنها من الزعفران التي يشم رائحتها عن بعد، ومرة اخرى يتم عرض السبحة بأنها شبيحية صفراء (٣٨)، حيث من الزعفران الخضراء

انتقلت الي الشيخية الصفراء، فهل فعلت الاحداث بسببته ما فعلت بشيئته ؟ ام غيرها، فهذه غير تلك ؟

ومن الشخصيات المؤثرة في الرواية والتي تقف مع المجرى الصحيح لأحداث الرواية وكما يريدنا المؤلف، هي شخصية الاستاذ الجوسقي، ونلمح ريشة الروائي تتحرك ليقدمه لنا بكلمات موجزة، لكن مركزة وتفي بالمطلوب فهو يطأطئ رأسه عندما يريد الكلام في امر عظيم، ومن عاداته التمسيد علي لحيته التي اصطلح فيها على ما يبدو الاسود والأبيض فلم يعد احدهما يهدد الاخرة بالاكنتساح بمعنى انه في اربعينات عمره حيث قمة الرشد والعطاء(٣٩).

ويتشارك كل من الوليد بطل الرواية ووالده سليمان في وصف الاستاذ وهما في قمة الاعجاب به وبحاله الميسور، فهو يلبس الخف والطيلسان الصوفي الأخضر، ويرمق سليمان بإعجاب سروال الاستاذ البيتي الفضايف وحزامه الاسود وسترته ذات الألوان الهادئة.. ويعاين فضلاً عن هذا قلنسوته الموضوعية بإحكام فوق كلوثة ناصعة البياض(٤٠).

فنحن هنا امام مظهر عالم عامل مؤثر يظهر الرفاهية التي يعيش فيها وإعجاب من حوله به..وكأننا امام مقطع مصور تتحرك الشخصية فيها امامنا يقترب من الجوسقي في نفس الخط العام في الرواية، ولكن بمظاهر مختلفة هو الشيخ ابو العز الصرصري، فهو ضير !! فقد بصره بالجدرى عندما كان طفلاً، ليس له زوجة او أطفال، من عادة الشيخ طقطقة سببته الصفراء المصنوعة من الشيخ، وفضلاً عما ذكر فان الشيخ يمتلك لحية بيضاء تشع صفاء وهو صاحب جسد هزيل وضئيل، كل هذا وحاله المتواضع وفقره، لم يتمنع ان يكون في الصدارة من اساتذة المستنصرية حيث يفيض علما وتقوى(٤١).

وإذا ابتعدنا عن اهل العلم والأسر الفاعلة، واقتربنا من صاحب حرفة فسنقف امام (قطب الدين الحداد) الذي يصفه الوليد قائلاً (كان يلبس ازارا بلون التراب، ودراعة ممزقة، وقميصا مقطوع الازار، وكان رأسه مكشوفاً لا تغطيه قلنسوة، حافيا لا يلبس جوربا ولا يتنعل شيئا)(٤٢).

فضلاً عن هذا هو مفتول العضلات لتعامله المستمر مع الحديد، حتى كاد مرة ان يسحق عظام الوليد عندما اعتصره بذراعيه(٤٣).

في الفضاء الخارجي لشخصيات (السيف والكلمة) نلمح امورا تجدر الاشارة اليها:

- ١- اقتصاد المؤلف في الوصف عند تقديم شخصياته النسائية فالصورة مبهمة لا ملامح واضحة فيها مع كل شخصية نسائية، ربما الوجهة الاسلامية في النظر الى المرأة قادت الي هذا المسلك.
- ٢- ما اخذ عليه في وصف المرأة تنطبق علي باقي الشخصيات ولكن بنسبة اقل وكأنا امام حقيقة فاضحة، تؤكد ان الأهم هو الجوهر وليس المظهر، او يعطي المؤلف فرصة للمتلقي ليكمل بقية الصورة من وحي خياله، وهذا من شأنه خلق رابط قوي بين المبدع والقارئ.
- ٣- تكرار بعض الالفاظ المحدودة مع وصف كل شخصية نحو (القلنسوة، والسترة، والعبادة، والعمامة، واللحية البيضاء، والوجه الشاحب، والسبحة، فعل مسد(تمسيد الحماية) والضعف والهزال).
- ٤- غياب الفاظ وصفات بعينها نحو لون شعر الرأس والعينين والوجه وتقسيماته والطول والعصا والسيف.. الخ.
- ٥- اغلب الوصف جاء على لسان الشخصيات لبعضها البعض، ولم يتدخل المؤلف ليعطي كاميرته اوصافا تغاضى عنه شخصيات الرواية.. بل تركهم احرارا في ذكر وصف كل منهم.

المبحث الثاني: الفضاء الداخلي

هو فضاء معقد تتلاطم فيه امواج عدة من التفكير والمشاعر والأحاسيس والانفعالات، تختلف من شخصية لأخرى، حتى نجد انفسنا في كون فسيح لا نهاية لآفاقه، لذا نجد الروائيين المؤدلجين والمهتمين بالقضايا الفكرية، في ابداعاتهم يولون هذا الحيز المترامي الاطراف اهمية كبيرة، كي يتسنى لهم عرض رؤاهم عبر شخصياتهم.

ففي الروايات ذات المنحى الفكري، يتوجه الروائي الي رسم الملامح الفكرية لشخصياته، لأنها تعد عنده أهم سمة حقيقة لتمييز تلك شخصيات الأدبية، فكلما كانت غنية بملامحها ومظاهر سلوكها وانفعالاتها كانت أكثر خلودا وديمومية في عالم الابداع الروائي(٤٤).

و هذا يتطلب من الروائي قدرا كبيرا من الفكر والفلسفة حتى يتناول القضايا الخاصة الداخلية لكل شخصية برؤاه المميزة وقناعاته، ولا اكون مجانباً للصواب اذا قلت هي اقنعة يختفي وراءها المبدع للبوح عن مكنن ارادته وطموحاته.

في ثنايا هذا الفضاء الباطني الواسع للشخصيات يتم فيه (وصف المظاهر السلوكية والعقلية للشخصيات، وما يعتمل داخلها من صراعات وأفكار وأحلام وكوابيس ودوافع داخلية معقدة، راصدا العواطف والاعتقالات والتداعيات التي تمر بذاكرة هذه الشخصيات) (٤٥).

في تناولنا هذا الفضاء الداخلي سنركز على عواطف الحب والكراهة والشفقة بين الشخصيات الروائية فضلا عما تتابها من احزان وآلام وأفراح ومسرات.

لان موضوع الرواية هو غزو المغول وسقوط الخلافة، فان مشاعر الحزن تتعالى بوتيرة قوية وكأنها تكتسح جسد الرواية وتصبغ فضاءها الداخلي باللون الاسود القاتم، ومع ذلك فان الحب بكل ما تملكه هذه الكلمة من سحر، تواجه الحزن وتثبت قدم الحق وتحجز لنفسها الحيز الواجب لتشكيل احداث الرواية نحو الوجهة الصحيحة المطلوبة.

فحيز الحب يشكل محور العلاقات بين اغلب شخصيات الرواية حتى مع اكثر المتباعدين في نهايتها، فهذا الوليد يصبح بمرور الوقت هو الملح الذي يمنح حياة عبد العزيز طعما اشهى بل يصرح بأنه احب الوليد وأسرته محبته النقية (٤٦)، هذا بالرغم من تباعد وجهتهما في الحياة.

وحتى في رحلته للنجاة بحياته يتوحد الوليد في مشاعره مع ما يحيط به، فهما (الوليد والشهباء) وحيدان في عرض الصحراء.. اذ الصحراء مع الوحدة والخوف تجعله يتوحد اكثر مع الشهباء والأرض والسماء.. بل يرجع في خياله الى ذكريات الوالد حتى يستمد منه الامكانية والقدرة على مواصلة الطريق والنجاة.. والشعور متبادل فعندما يتذكر الوالد ابنه وما يمر به من ظروف قاسية ومواجهة دامية مع المغول، فينتابه احساس جارف بين الفخر والشفقة لأنه ابنه وهذا كاف (٤٧).

فالوالد هنا هو عامل امداد للقوة التي تساعد على مواجهة الصعاب وتحدي الظروف القاهرة والصبر على الآلام والأحزان، هو دائما سند للإنسان في اخرج مواقف حياته لذلك لا يدرك قيمة الاب إلا من فقدته، وهذا ما جعل الكثير من الشعراء يعيشون فقد الاب في قصائد الطوال.

هذه العلاقة والرابطة القوية موجودة عند الوليد مع امه التي لا تعرف عنها سوى أنها أمه، فهو يقبل رأسها كلما غاب عنها ثم رجع، ولا تريد الام من بر ولدها بها سوى ان يأكل بعدما رأى منه هزالا وضعفا. فاثمن هدية يمكن ان يقدمها الوليد لأمه هو ان يأكل لا اكثر وهذا هو قلب الام الكبير الممتلى بالحب العظيم تجاه ابنها.

موجة الحب هذه تتعاضد ممتزجة بعض المرات بالشفقة، نحو حب الوليد لأصدقاء دربه، وميلان حنان نحو خطيبته عبد العزيز، ومحاولتها اعادته الى الحياة وطريق الصواب، فهي لا تضمر له شيئا سوى المحبة، وتتمنى ان تتشبت بالغموض في موقفه لأجل الامساك به وعدم إضاعته، وعبد العزيز ايضا احبها وخطبها بعد ان وقع في حبها بمجرد رؤيتها في خمارها الارجواني المتهادي بفعل النسيم(٤٨).

وعدا حبه للوليد وتأثره به ورغبته في حنان خطيبته واقترابه من سليمان العم المستقبلي له، فان عبد العزيز يؤثر على كل هؤلاء وغيرهم حب العلم والمعرفة والفناء في الكلمة والعيش في بطون الكتب وحلقات العلم، الى درجة انه يتعبده ويعيش له ويبنى طموحه عليه.. ولذكائه فان اساتذته ايضا اضمروا له الحب والتقدير، وكذلك للوليد حيث لم يجراً ولا مرة عبد العزيز ان يواجه الوليد في مضماري العلم والحياة والسيف والكلمة(٤٩).

والشعور بالحزن تطفح كثيرا على جسد الرواية، لأنها رواية تصور واحدة من اعرق ازمان الأمة الاسلامية المتمثلة في غزو المغول وإسقاط الخلافة والقتل الكثير وهدر قيمة الكلمة.

فهذا الوليد يقاتل المغول مع اخوانه بصبر وتجلد.. فيرى بأمر عينه اصحابه يقتلون أمامه ويتآكلون شيئا فشيئا، فيغشاه جفاء ذلك حزن عميق.. ويتساءل مع نفسه اهل يعرف الانسان معنى ان يتآكل اصحابه امام عينيه؟، وفي هذا الالم العظيم تمنى لو ضمهم واحدا واحدا قبل

ان يفارقهم، ولكن الظروف قست عليه، فكان يكتفي بتبادل نظرات مترعة بالحزن العميق معهم، وهم يواجهون مد الجراد المنتشر المبيد(٥٠).

وحتى في محاولته احضان بعضهم وبالعكس، يحدث الطرفة هناك فهذا قطب الدين الحداد يفتح له الباب فيريد الوليد احتضانه، لكنه يدفعه آمرا له بدخول البيت، وان هذا ليس مكانا وزمانا مناسبين لتبادل الاشواق، والعكس جميل ايضا حين يحتضنه قطب الدين مرة فيقول له الوليد على رسلك يا هذا فقد كدت تسحق عظامي(٥١)، وهكذا المحن تفعل بأصحابها وتباعد بينهم.

وحنان بطبيعتها، تعتصم بالصمت.. وتتدثر بالكآبة والعزلة، وأكثر ما يألم شقيقها الوليد هو انها صبرت على ألامها أكثر مما يجب، وبواكير رحلة الحزن عند حنان تبدأ بالخلاف مع الخطيب عبد العزيز في يوم عقد القرآن، فهي تريد حفلة كبيرة يحتشد الناس فيها، لكن عبد العزيز يعارض ذلك وينزعج من تشبث حنان بالشكليات، ثم تتعدى ذلك الى تبدل موقفه وخضوعه لقيود الطموحات الشخصية مع المغول، فيحاول بالقوة ان يسترد شرفه المسلوب واقتناء حبيبته التي طالما حلما بها جنبا الى جنب مع العلم والعرفان، فيضغط على حنان كي تقرر الزواج منه عنوة، ثم يأخذها من بيت ابيها لكنها ترفض وتشبث بموقف الوالد والشقيق وهذا ما يثيره أكثر، وعندما يفقد الامل يتوجه عبد العزيز الى المغول كي يعيد حقه المسلوب تحت ظل سيوفهم، فيرجع بخفي حنين، ويقتل عمه من وراء هذه العملية.. فتتضاعف احزان حنان، وتظلم امامها الدنيا(٥٢).

كل هذا دفع عبد العزيز الى تأنيب للضمير لم يستجب له، وركب على طموحاته تحت ظل سيف المغول، فيصف نفسه قائلا:(احيانا الوم نفسي واضعها في دائرة الندم.. وللحظات احسست بان الحيرة القاسية تلفني.. ورشقني موجة اخرى من الاحساس بالقرف... حيث صرت اخيرا، سكيننا يطعن به المغول من تحب ومن تكره.. الآن يطبق عليك الفراغ ويتناوشك الدهول.. تصير ريشة تعصف بها ربح مجنونة لا تدري من اين هبت والى اين هي

ذاهبة بك..ها انت قد خسرت حنان والوليد معا.. ها انت ذا قد نفضت يدبك عن سليمان(٥٣).

هذا نوع من التجوال التفحصي في فضاء النفس عندما ترتكب مخالفة فطرية، واجتماعية، فتبدأ سكاكين الندم بإزالة قناع التزييف ولو على مستوى النفس، وهذا لا يعني البتة الرجوع عن ذلك المحنى الذي يحقق الطموحات المادية والإخفاقات النفسية في آن واحد. وتتضاعف الحزن على رؤوس آخرين ففضلا عن حزن سقوط الخلافة وقتل الناس، يخنقون في حزن الم الوحدة القاتلة التي تحيط بهم.

فهذا الشيخ القفطي يعيش عزلة قاتلة بعد دمار بغداد، وهو مع ذلك يحمل حزن الدنيا، وسبب هذا الحزن الكبير انه رجل يعرف الكثير(٥٤).

ويتشارك في هذا الحزن المضاعف الشيخ الصرصري الذي يصرح بان الوحدة قاتلة وشيء مر المذاق اذ هي (الوحدة) تمنع الانسان من الاندماج مع الاخرين ونسيان هم الدنيا، وفضلا عن هذا كان حزينا هو الاخر لأنه ضيرب تعوزه القدرة على مشاركة الاخرين المقتولين على يد المغول(٥٥).

اما الاستاذ فهو المحرك المعنوي لرفع معنويات المتصددين للمغول، الشيخ تقي الدين الجوسقي فهو يحمل هم سقوط بغداد، وتجاوز المغول على ارواح واعراض الناس، وكأن حزن الدنيا تمركز عنده، وفجره لتزويد الاخرين برأي الشرع في مقاومة المغول(٥٦).

هذا الهم الكبير انتقل ايضا الى المقاتلين المتصددين للمغول، فهذا حسان البطحائي يحمل على كتفه هموم الدنيا(٥٧).

من بين كل هؤلاء الناس يتصدر(سليمان) في همومه بما يتعلق بالأهل والأسرة، لأنها الاسرة الوحيدة الموجودة في الرواية، فسليمان في احزانه وتردده وخوفه يلتجئ الى الله. لكي ينفذ عنده جراب طموحه ومخاوفه وآلامه، فضلا عن هذا تبقى الاسرة وهو عائلها اكبر همومه، فكلما تذكر بيته انعصر وغشيته موجة ثقيلة من الهم والحزن، حيث في مخيلته دوما الزوجة وحنان والوليد فيحس بعمق انه يرزخ تحت عبء ثقبيل جدا حتى انه يشفق على عبد العزيز خطيب ابنته ويتناوشه إحساس مر كلما تذكره (٥٨)

هذه الحركة المنتشرة والمؤرقة في الفضاء الداخلي اجبر المؤلف على اعطاء مساحة تعدت ٧٥ ٪ من روايته لهذا الحيز المترامي الاطراف، فتجول يراعه ليسطر لنا المبادئ والقناعات التي ينضح بها فكر المؤلف تجاه المحتل الغازي والعميل الخائن في أي زمان ومكان كان!! فكل شخصية عالم بذاته، لها دلالة عميقة ومتجزرة، في معظم المجتمعات الانسانية في زمن السلم والحرب على السواء.

في رحلتنا مع هذا الفضاء الكبير والكون الفسيح، نلخص الى ما يأتي:

- ١- لم يأل المبدع جهدا في هذا الرواية من التجوال في اروقة نفسية شخصياتهم والتعلق بين اجنحة مشاعرهم فاكتمسح هذا الفضاء(الجواني) جسد الرواية وصيغهما بتضاريس جغرافيته.
- ٢- في هذا الفضاء الداخلي الموصف بدقة، تتحمل الشخصيات نفسها بالعبء الاكبر في تقديم حالاتها ومشاعرها، بمساعدة شخصيات اخرى قليلا، والمؤلف في بعض الاحيان.
- ٣- اخذ هذا الفضاء اغلب صفحات الرواية، فحديث النفس كثير جدا وأقنعة المؤلف الكثيرة تعبر عن رؤاه وأفكاره باسم شخصياته في الرواية، وفي المقابل نجد ندرة الحوار الخارجي.
- ٤- نظرا للأحداث المؤلمة في الرواية فان طابع الحزن والفقد والشعور بالنكسة غالب عليها هذا فضلا عن اجواء الوحدة والغربة والشعور بالطعن من الخلف.
- ٥- قد نجد تكرار في بعض الالفاظ المستخدمة في وصف هذا الفصل لكن قاموسه ثري بالمفردات المتنوعة ذات الدلالات الدقيقة.

المبحث الثالث: الفضاء الوظيفي

يعد التحرك الوظيفي لشخصيات اية رواية، ملمحا لبروزها وشاشة لظهورها، ونشاطا لتطور احداث الرواية، ودفعها الى الامام كي تحقق مرامي الرواية الرئيسة .
لذلك يركز كل روائي على ذلك الفضاء الفعال، لتكون محطة استراحة خلفية تعين تلك الشخصيات التزود بالقوة الفاعلة لأداء دورها على مسرح الرواية بنجاح وتألّق.

وهكذا حاول عماد الدين خليل اثبات مهن شخصياته في (السيف والكلمة) بما يحقق دلالات متوافقة مع تطلعاتها ومطامحها في قادم احداث الرواية ومهد لذلك الامر بدقة. فمهنة (ربة البيت) التي تشترك فيها كل من (الام) وابنتها(حنان) في مقاطع من الرواية، تبرز شخصية الاثنتين ودور عملهما في لم شمل العائلة وإضافة عبد العزيز اليها(٥٩)، فضلا عن خلق الموارد وتبادل وجهات النظر تجاه قضايا تفوق حجم ذلك الحيز المتواضع من هموم الامة وسقوط الخلافة الى العائلة والخطيب، كلها نمقت في البيت ولاسيما في مطبخ العائلة، حيث الاكلات البغدادية الشهية.

وبعد هذا نجد ان (الدكان)والعمل فيه، تجذب شخصيات الرواية، فسلیمان البغدادي يعمل في سوق الكتب(٦٠)، وتضاريس جسد الرواية تظهر لنا توجه الاصدقاء وعبد العزيز وحوارات السوق في هذا المكان الحيوي، الناشر للوعي والثقافة، والشافع لما يدور في اروقة المستنصرية، ولهذا الدور الفاعل (العمل في دكان لبيع الكتب) شملها عنجهية المغول بين النهب والحرق، ليتجرع سليمان مرارات الوضع المأسوي من خلال دكانه المنهوب، فهو وأد للمهنة قبل موضع العمل.

وبطل الرواية(الوليد) جمع بين طلب العلم في المستنصرية بمعية عبد العزيز وغيره، لكنه تعداه الى ممارسات مهارية نحو سباق الخيل والفروسية والرمي، ويداعبه في حوار جاد عن الزواج وممارسة الجانب الاخر من الحياة.. في تعدد ممارسته الحياتية مساعدة له لمشاركة والده في الدكان، فمع تألقه في ساحات المستنصرية..ها هو يبيع ويشترى في دكان ابيه بمهارة..وعندما يتطلب الامر كان الرأس المحرك في ساحات الجهاد ضد المغول(الجراد الزاحف).

هذا التعدد المهاري لبطل الرواية جعله نشطا متواجدا على اغلب صفحات الرواية..شارك الوليد في هذا بعض رفاقه في المقاومة نحو قطب الدين الحداد الذي يمارس محنة (الحداد)في حياته اليومية(٦١).

اما الجانب الاخر المضاد له، فانه يعجب به (الوليد)ويحبه ويغبطه على ذكائه في ساحات المستنصرية ويخطب اخته، ويختلط به عمليا، لكنه لفرط ذكائه (أي عبد العزيز) اغتر

بالعلم والعرفان ومغزى الحكمة فأصبح يعبدها ويجدها طريقة لتحقيق امانيه ورغباته، ولأجل ذلك يتسلق على كل كتف مهما كان، فوضع يده في يد المغول، حيث يمارس المهنة التدريس في المستنصرية خلفا لأساتذته الذين رفضوه، ثم يرتقي في هذا المضمار فيصبح ناظرا هناك، ولا يكف بل يحاول السطوة على خطيبته بالقوة بعد ان رفضته لعمالته للمغول وخيانتته .. فينخرط في (يحيا هولوكو-يحيا هولوكو) (٦٢)، هكذا لم يستقر على حال، وأدرك مهنته في التدريس والعمالة، وفقد عمه وخطيبته وأساتذته وأصدقاءه.

اما العلماء فمن الطبيعي ان نجدهم في ساحات العلم في المستنصرية يبصرون الناس بالعلم الحقيقي، وهذا ما يفعله كل من (الاستاذ) تقي الدين الجوسقي والشيخ الصرصري والقفطي وغيرهم، في مهن تعد في القمة في مجتمعات الحضارة والتقدم، واغلب هولاء الكبار من العلماء، واجهوا المغول بفكرهم وتوجههم وانضموا الي صفوف المقاومين للمغول تخطيطا وتعبئة كالجوسقي وغيره، اما الصرصري فانه واجههم في بيته بالحجارة حتى اردوه (٦٣).

انعكست اثار هذه المهن على حركة شخصيات الرواية في فضائها الوظيفي لتتجهز الى الخط الرئيس الموائم لتزواج السيف والكلمة ولتدفع عملية الاحداث الي تحقيق مرامي المبدع من خلال اقنعتة المتعددة في الجانب الوظيفي .

في مسند وظيفي مماثل (التدريس) والإفتاء، يظهر لنا كل من ابي بكر الطهراني !! وشهاب الدين الزنجاني الذين يخونون جماعات الفقهاء ويقودونهم الى المذبحة علي يد التتار ويصدرون الفتاوى المؤيدة لحكم هولوكو، وتكفير من يعارضونهم، اداء هذه المهنة العلمية والتدريسية بجانبها السلبي زاد من قوة الجانب المعارض الممارس لهذه المهنة، وهذا ما اعطي تشويقا أكثر لمجريات احداث البداية (٦٤).

ولعل تضاد توجه الوزيرين ابن العلقمي والدويدار أيضا، أسبغ على احداث الرواية نكهة اخرى، فابن العلقمي الوزير يهادن ويلاين المغول ويحتفظ بمنصب الوزارة بعد سقوط الخلافة ومجيء المغول لحكم بغداد، أما الدويدار قائد جيش الخلافة الذي خرج من بغداد لمقاتلة المغول فقد حصده هولوكو مع جنده خارج بغداد، وجود شخصين متضادين في التوجه

في مهنة واحدة (الوزارة) حرك شخصيات الرواية كلها لجس نبض المستقبل بناء على ادائهما في مهنتيهما (٦٥).

ولعل طبيعة نهايات اغلب شخصيات الرواية كانت حصادا لما مارسوه من مهن ونشاط وتشاط فعال مع احداث الرواية، فالوليد يهرب الى الشام منقذا لحياته، وسليمان يقتل على يد المغول مع الشيخ الصرصري، وحنان تفسخ خطبتها من عبد العزيز الذي ترقى الى الاستاذية والناظرية ومن ثم العمالة للمغول، اما الطهراني والزنجاني فمهدو لتثبيت قدم المغول، هذه النهايات المتناقضة ساعدت على عدم اغلاق الرواية في النهاية بل انفتاحها كي يتواصل المتلقي في قراءته لنفس المجريات في قادم العصور، وهذا ما حقق هدف المبدع في روايته، لاسيما بعد سقوط بغداد بيد الامريكان في ٢٠٠٣م، ليعيد التاريخ نفسه بمشاهد متطابقة وشخصيات متخلفة (٦٦).

نلخص مما تمت مداولته في هذا الفضاء الوظيفي الى ما يأتي:

- ١- تعدد الوظائف المنبثة في جسد الرواية والمتعلقة بالشخصيات، وتتواجد هذه الوظائف بقدر تعلقها باحداث الرواية وتحريكها للامام.
- ٢- تناقض التوجه الفكري والعملي للشخصيات ذوات المهنة الواحدة اعطى فضاء آخر شيقا لأحداث الرواية.
- ٣- وجدنا شخصيات تمارس اكثر من مهنة وأخرى اكتفت بواحدة، وهذا يدل على ان الشخصيات ليست بوتيرة واحدة بل متباينة ككتابين سطح الرواية وجسدها.
- ٤- طبيعة المهن والأفكار الموجهة لأصحابها ساعدت على تحديد مآل شخصيات الرواية ونهايتها.

المبحث الرابع: الفضاء الاسمي

الاسم هوية يتميز بها كل شخصية في الواقع والتمثيل الادبي، وتتحرك بفاعلية لإثبات هويتها وإقناع المحيطين بها، فالمبدع في اثره يضيف على شخصياته اسماء يختارها بدقة، لتوافق رؤاه وتمثل اقتعته. فالتسمية في العمل الادبي لا تخضع لقواعد الحياة

الاجتماعية، بل تلعب وظيفة اساسية في التخيل الادبي والفني بشكل عام(٦٧)، لذا كان قاموس اسم العلم بحجم مماثل لبقية الوحدات المعجمية.

من هنا يتجه اغلب الكتاب الى اسباغ القاب ملفتة للنظر على شخصياتهم كطريقة تقنية مؤثرة لتقديم شخصياتهم الى جمهورهم.

وهذه الاسماء تكون مشحونة بما يحمله الاديبي من احلام ورغبات، هم ينؤون بحملها فيكلونها الى شخصياتهم(٦٨)، لتقوم بالدور المطلوب التعويضي عن المبدع نفسه.

فالأسماء في الروايات، تمثيل للشخصيات، وعلامة بارزة على تميزها وتعيينها فضلا عن مساعدة تلك الاسماء على تصنيف تلك الشخصيات وإدراك العلاقات بينها(٦٩).

بقية ان نثبت حقيقة مهمة جدا هي ان الاسماء لا بد ان تكون مع معانيها دون انفصال بينها، لان الله تعالى علم ادم الاسماء كلها ومعانيها ايضا، اذ لا فائدة في علم الاسماء بلا معاني، لان المعاني تأتي بالدرجة الاولى والأسماء دائما هي دلائل عليها، فالاسم رمز لغوي قديم قدم الخلق (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) البقرة: ٣١، وهو مصدر على حضوره في الشخصية الادبية ايضا من خلال مدلوله(٧٠).

الاسم في العمل الادبي معلل ولا يأتي اعتباطيا، ويسهم في تشكيل دلالة العمل واغتناء رمزيته، فهو(الاسم) يعمل على تحديد جنس الشخصية وسنها وانتمائها الثقافي والاجتماعي والجغرافي، وهذا يساعد ايضا على توجيه الادوار المستندة الى تلك الشخصيات(٧١).

فهذا بطل الرواية (الوليد) هكذا معرف (بأل)، يدل اسمه على الاستمرار والديمومة وعدم الانقطاع، فهو من الولادة والولادة علامة حياة، وطالما هي موجودة فلا انقطاع، بل الحياة مستمرة على قدم وساق، ولهذا الاسم أيضا ذاكرة تاريخية تعود بنا الى عصر الرسالة، حيث انجب الوليد لنا عظيما حطم كبرياء الشرك وأعداء الاسلام، انه (خالد) ابن (الوليد) الذي حارب بسيفه، فكان(سيف الله المسلول) على رقاب اعداء الاسلام، وفي تناغم دلالي وتاريخي يعود (الوليد) بطل الرواية (ابو خالد) ليعيد ملحمة (خالد بن الوليد) رضي الله عنه على رقاب المغول

الذي حطموا هيبة الاسلام في اسقاط الخلافة، فاعمل الوليد ورفاقه سيوفهم في رقابهم، حتى ادخل الرعب في قلوبهم، وهذا هو مغزى الرواية ومطلب المؤلف، الاستمرار وعدم الانقطاع، والتصدي للمعتدي المحتمل سواء كان في التاريخ ام الحاضر(٧٢).

في حالات الصراع تحتاج لفتات الرواية الى الطاف تشرح النفس فجاءت (حنان) باسمها ودورها لتضفي الحنان والمودة والرفقة على قلوب الشخصيات الاخرى(٧٣).

ول(سليمان) والد البطل عمق تاريخي ودلالة اسلامية عائدة للنبي سليمان عليه السلام، وفي تناغم دلالي حركة ونشاطا، يشير(هذا الاسم سليمان) الى علاقة متينة بالله سبحانه وتعالى في عرفان صوفي متنور، مع حمل هم الاسلام والأمة وفناء فيهما الى ان يلقي الله (٧٤) المفارقة الدلالية تظهر لنا من خلال الاسم(عبد العزيز) اذ من ايحاءاته العامة التوجه الى الله والاعتزاز به فهو سبحانه العزيز والحامل للاسم عبده، ولكن هذه الشخصية تتحرك لمفارقة دلالية مع الاسم، فتسلك سبيل العمالة للمغول والخيانة للصديق وللوطن والأمة ولأستاذته في العلم(٧٥).

ويبدو ان المؤلف تعمد عدم تسمية الاسم الأم (ام الوليد وحنان وزوجة سليمان) بأي اسم، لان كلمة (الام) اكبر من كل اسماء الدنيا، ولم تنقص عدم تميزها باسم دورها في الرواية، بل تحركت بحرية في اداء دورها الثانوي(٧٦).

وهناك ظهور على استحياء ليهودي يدير دكانه ويبتاع منه الوليد اغراضه، انه (يونا) اليهودي، ولكن وجود وباسمه تعبير عن مجتمع عاش فيه المخالفون مؤتمنين على حياتهم وعيشهم(٧٧).

وإذا كان ابو العز الصرصري وأبو مأمون تقي الدين بدلالات اسماءهم ودورهم العلمي في الرواية لهم حضور تناغمي يجمع بالعزة والتقي ومطابقة العلم العمل، فإن كل من نصر الدين الطوسي وأبي بكر الطهراني وشهاب الدين الزنجاني بدلالة مناطقية اسمائهم وايدولوجية مذهبهم، فإننا لا نجد نصيرا للدين وعلماء في الأمة (ابو بكر) ولا شهابا للدين، بل مغايرة لخط الرواية العام وعمالة وخيانة وتثبيتا باسم الدين لأركان حكم هولاء قائد المغول(٧٨).

وبين الوزيرين يكون ابن العلقمي فعلا علقما يهادن المغول ويحقق غايته على حساب الوطن والدين والشعب، اما الدويدار فهو على الاقل يحاول ويقتل في محاولة لصد المغول خارج بغداد(٧٩).

وهكذا نلمح في فضاء التسمية عملا متعمدا لخيال المبدع في انتقاء اسماء معينة لشخصياته تتناغم في بعضها وتفارق في اخرى من حيث الدلالة والهوية، وهذا التباين من شأنه رفد الرواية بعنصر جذب اخر يحتل فضاء كبيرا من اهتمام المتلقي، ويوصل اليه رسالة المؤلف.

نتائج البحث

توصلنا في خاتمة هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١- اقتصد المؤلف في الوصف عند تقديم شخصياته النسائية فالصورة مبهمة لا ملامح واضحة فيها مع كل شخصية نسائية، ما اخذ عليه في وصف المرأة تنطبق علي باقي الشخصيات ولكن بنسبة أقل وكأننا امام حقيقة واضحة، تؤكد ان الأهم هو الجوهر وليس المظهر، او يعطي المؤلف فرصة للمتلقي ليكمل بقية الصورة من وحي خياله، وهذا من شأنه خلق رابط قوي بين المبدع والقارئ.

٢- تكرار بعض الالفاظ المحدودة مع وصف كل شخصية نحو (القلنسوة، والسترة، والعبادة، والعمامة، واللحية البيضاء، والوجه الشاحب، والسبحة، فعل مسد(تمسيد اللحية)، والضعف والهزال)، وغياب الفاظ وصفات بعينها نحو لون شعر الراس والعينين والوجه وتقسيماته والطول والعصا والسيف ..الخ.

٣- اغلب الوصف جاء على لسان الشخصيات لبعضها البعض، ولم يتدخل المؤلف ليعطي كاميرته اوصافا تغاضى عنه شخصيات الرواية.. بل تركهم احرارا في ذكر وصف كل منهم.

٤- لم يأل المبدع جهدا في هذه الرواية من التجوال في اروقة نفسية شخصياتهم والتعلق بين اجنحة مشاعرهم، في هذا الفضاء الداخلي الموصف بدقة، تتحمل الشخصيات نفسها

بالعبء الاكبر في تقديم حالاتها ومشاعرها، بمساعدة شخصيات اخرى قليلا والمؤلف في بعض الاحيان.

٥- اخذ هذا الفضاء اغلب صفحات الرواية، فحديث النفس كثير جدا وأقنعة المؤلف الكثيرة تعبر عن رؤاه وأفكاره باسم شخصياته في الرواية، وفي المقابل نجد ندرة الحوار الخارجي.

٦- نظرا للأحداث المؤلمة في الرواية فان طابع الحزن والفقد والشعور بالنكسة غالب عليها هذا فضلا عن اجواء الوحدة والغربة والشعور بالطعن من الخلف.

٧- تعددت الوظائف المنيثة في جسد الرواية والمتعلقة بالشخصيات، وتتواجد بقدر تعلقها باحداث الرواية وتحريكها للامام، وتناقض التوجه الفكري والعملية للشخصيات ذوات المهنة الواحدة اعطى فضاء آخر شيقا لأحداث الرواية.

٨- طبيعة المهن والأفكار الموجهة لأصحابها ساعدت على تحديد مآل شخصيات الرواية وتقنية الانتهاء.

٩- في فضاء التسمية عمل متعمد لخيال المبدع في انتقاء اسماء معينة لشخصياته تتناغم في بعضها وتفارق في اخرى من حيث الدلالة والهوية.

هوامش البحث :

(١) ينظر، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣هـ)، معجم الصحاح، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان - بيروت، ط ٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ٨١٤، وأبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور(ت ٧١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٥٧/١٥.

(٢) د. ابراهيم جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ٢٠١١، ص ٢٥.

(٣) حسن نجمي، الفضاء والهوية في روايات سحر خليفة، العالم الثقافي، السبت ١١ يناير ١٩٩٧، ص ٤.

- (٤) منيب طه البوريمي، الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ٢١.
- (٥) ينظر، عبدالملك مرتاض، في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد، سلسلة عام المعرفة ٢٤٠، ص ١٢١.
- (٦) عمرو كناري، الفضاء الروائي في اعمال سحر خليفة، مطبعة انغوربنت، فاس، ط ١، ٢٠١١، ص ٣٤.
- (٧) ينظر: الطائع الحدادي، عن تداخل البنى السردية والتركيبية للعالم، مجلة الاقلام، العدد السادس، حزيران، ١٩٨٧، ص ١٠٠.
- (٨) ينظر: ابو الفصل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، بيروت/لبنان، دار صادر، د.ت، ج ٧، ص ٤٥.
- (٩) ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطبعة مصري، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، ج ١، ص ٤٧٨.
- (١٠) عزيز حنا داود، الشخصية بين السواء المرض، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٩١م، ص ٧-٨.
- (١١) ينظر: الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، سلسلة مفاتيح، عام ٢٠٠٠، ص ٩٧.
- (١٢) ينظر: عبدالوهاب الرقيق، في السرد، دراسات تطبيقية، دار محمد علي الحامي، تونس، عام ١٩٩٨، ص ١٢٦.
- (١٣) يماني العيد، دلالات النمط السردية، في الخطاب الروائي، تحليل رواية(رحلة غاندي الصغير) ، ملتقى السيميائية والنص الأدبي، عنابة، ١٩٩٥، ص ٢٣٨.

- (١٤) ينظر: جيرالد برشي، قاموس السرديات، ترجمة السيد امام، منشورات ميريت، ص ٣٠ - ٣١ وينظر أيضا، مفيد نجم، كائنات من ورق، الشخصية الروائية في الروايات اماراتية، مجلة نزوة، العدد السابع والستون، ٢٤/٨/٢٠١١.
- (١٥) ينظر، مجموعة من الباحثين، نظرية المنهج الشكلي ((نصوص الشكلايين الروس))، ت: ابراهيم الخطيب، الشوكة المغربية للناشئين المتحددين، مؤسسة الابحاث العربية، الرباط، بيروت، ط ١، ١٩٨٢، ص ٢٠٥.
- (١٦) عبد الرحمن منيف، الكاتب والمنفى، بيروت دار الفكر الجديد، ١٩٩٢ ص ٢٣٤، وينظر: الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الصنفقة الغربية وقطاع غزة، ١٩٦٧-١٩٩٣، محمد ايوب، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م رسالة ماجستير، جامعة نجاح الوطنية، في الاداب والنقد الفلسطيني الحديث، ص ٣٤.
- (١٧) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص ٧٣.
- (١٨) ينظر: يوسف الشاروني، القصة القصيرة: نظريا وتطبيقيا، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٨.
- (١٩) ينظر: حسين القباني، فن كتابة القصة، مكتبة المحتسب، عمان، ط ٢، ١٩٧٤م، ص ٧٠-٧١.
- (٢٠) ينظر: قيس كاظم الجنابي، ثلاثية الراووق.. الرؤية والبناء، دراسة في الادب الروائي عند عبد الخالق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٠٣-١٠٧.
- (٢١) ولد بمدينة الموصل في العراق عام ١٩٤١م، ينظر: ديباجة مؤتمر التكريم، قسم التعريف بعماد دين خليل.
- (٢٢) ينظر: د. عماد الدين خليل، السيف والكلمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ٢٠٠٧، ص ٤٥-٦١.
- (٢٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٦، ٢٢٥، ١٠٣.

- (٢٤) ينظر: عبدالله ابراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة اساليب السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_العراق، ١٩٨٠م، ص٨٧.
- (٢٥) ينظر: نهاد التكرلي، الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية بغداد، ١٩٨٥م، جزء٢، ص١٣٥، ود.شاكر سايبير، الفضاء الروائي عند سليم بركات-قراءة في ثلاثية الكون- الفلكيون في ثلاثاء الموت، اتحاد الادباء الكورد، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٦٦-٢٦٧.
- (٢٦) فنار خليل مجيد جامد، الوصف في روايات علي الجارم، رسالة ماجستير، جامعة موصل، كلية التربية - قسم اللغة العربية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٤٠.
- (٢٧) ينظر: د.ابراهيم جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، ص١٨٠-١٨٢.
- (٢٨) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص٢٢، ٢٥، ١٢١، ١٨٢.
- (٢٩) المصدر نفسه، ص١٤٧.
- (٣٠) عماد الدين خليل السيف والكلمة، ص١٨٣، ٢٦٨.
- (٣١) المصدر نفسه، ص٢٠٠-٢٠١.
- (٣٢) ينظر: المصدر نفسه، ص٩.
- (٣٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣٤-٢٧٦-٩٩-٢٨٤.
- (٣٤) ينظر: المصدر نفسه، ص١١٨، ١٤٨، ٣٠٠.
- (٣٥) عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص٤٩، ٨٧.
- (٣٦) ينظر: المصدر نفسه، ص٢١٧.
- (٣٧) المصدر نفسه، ص٦٧، ١١٢، ٢١٥.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص١٤٦، ٢٠٠، ٢١٥، ٢٢١.
- (٣٩) ينظر، عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص٢٣٣، ٢٣٥.

- (٤٠) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٠٨-٢٣٢.
- (٤١) ينظر، المصدر نفسه، ص ١٣١، ١٣٣، ١٣٦، ١٧٣.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ١٧٨-١٧٩.
- (٤٣) ينظر، المصدر نفسه، ص ٢٠٥.
- (٤٤) ينظر عبدالله ابراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٠٢.
- (٤٥) د. شاكر سايبير، الفضاء الروائي عند سليم بركات، ص ٢٧٠.
- (٤٦) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص ٢٢-٢٥.
- (٤٧) المصدر نفسه، ص ٥٦-١١٢-١٣١-١٨١.
- (٤٨) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص ٤٠، ٦٥، ١٨٢-١٨٣.
- (٤٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٥-٤٩-١٢٢-٢٠٧.
- (٥٠) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١٢-١٣٩-١٤٧.
- (٥١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٧٨-٢٠٥.
- (٥٢) ينظر: عمادا لدين خليل، السيف والكلمة، ص ٣٨-٦٢-٧٠-٢٨٤-٢٨٧.
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ٧١-٩٧-٩٨-٢٩٣-٢٩٥.
- (٥٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٦٩-١٧٢.
- (٥٥) ينظر:، عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص ١٣٤-١٣٥.
- (٥٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
- (٥٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٣.
- (٥٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٣-١٠٦-١٣١-١٣٩-١٦٨.
- (٥٩) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص ٦٥-٦٧.
- (٦٠) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٧-٤١.

- (٦١) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص٢٣، ٦٩، ٧٣، ١٠٩، ١٧٨، ١٧٩.
- (٦٢) ينظر: المصدر نفسه، ص١٩، ٢٢، ٣٤-٣٧، ٤١، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٩٧.
- (٦٣) المصدر نفسه، ص١٣١، ١٦٧، ١٧٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٥، ٢٤١.
- (٦٤) عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص٢٢٧.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص١١٧، ١٣٠، ١٦٠، ١٧٠.
- (٦٦) ينظر: اغلب فصول الرواية الاخيرة.
- (٦٧) ينظر: محمد العماري، بلاغة اسم العلم في نساء (آل الرندي)، مجلة علامات، العدد(١٥) ٢٠٠١.
- (٦٨) ينظر: محمد العافية ، سيمائية اسماء الاعلام في الوقائع الغربية، مجلة الاقلام، السنة الخامسة والعشرون، العدد:٦، حزيران ١٩٩٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ٢٤، ١١٨.
- (٦٩) ينظر: محمد العماري، بلاغة اسم العلم في نساء (آل الرندي) .
- (٧٠) ينظر: محمد العافية ،سيمائية اسماء الاعلام في الوقائع الغربية، ص ٧٧، والشخصية في سلسلة روايات اسلامية معاصرة لنجيب الكيلاني، اطروحة دكتوراه، احمد طه احمد الشعبي، جامعة الموصل كلية الاداب، جمادي الاول ١٤٢٧هـ، حزيران ٢٠٠٦م، اشراف دكتور مؤيد محمد صالح اليوزيكي، ص ١١٧.
- (٧١) ينظر: محمد العماري، بلاغة اسم العلم في نساء (آل الرندي) .
- (٧٢) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ص ١٧١، ١.
- (٧٣) ينظر:المصدر نفسه، ص ١١
- (٧٤) ينظر: المصدر نفسه، ص٢٦
- (٧٥) ينظر: المصدر نفسه، ص١٩

(٧٦) ينظر: عماد الدين خليل، السيف والكلمة، ١١

(٧٧) ينظر: المصدر نفسه، ص ٨

(٧٨) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٢٧، ١٩٣، ١٦٦، ٥٩، ٤٦

(٧٩) ينظر: المصدر نفسه، ص ٦٠

مصادر البحث

الكتب

- ١- د. ابراهيم جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١١.
- ٢- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، لبنان - بيروت، د.ت.
- ٣- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، معجم الصحاح، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
- ٤- جيرالد برشي، قاموس السرديات، ترجمة السيد امام، منشورات ميريت.
- ٥- حسن نجمي، الفضاء والهوية في روايات سحر خليفة، العالم الثقافي، السبت ١١ يناير ١٩٩٧.
- ٦- حسين القباني، فن كتابة القصة، مكتبة المحتسب، عمان، ط٢، ١٩٧٤م.

- ٧- د.سليم بركات، الفضاء الروائي عند سليم بركات-قراءة في ثلاثية الكون- الفلكيون في ثلاثاء الموت، اتحاد الادباء الكورد، ط١، ٢٠١٢م.
- ٨- الصادق قسومة، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، سلسلة مفاتيح، عام ٢٠٠٠.
- ٩- قيس كاظم الجنابي، ثلاثية الراووق.. الرؤية والبناء، دراسة في الاد الروائي عند عبدالخالق الركابي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠.
- ١٠- عبدالرحمن منيف، الكاتب والمنفى، بيروت، دار الفكر الجديد، ١٩٩٢.
- ١١- عبدالله ابراهيم، البناء الفني لرواية الحرب في العراق، دراسة اساليب السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد_العراق، ١٩٨٠م.
- ١٢- عبدالملك مرتاض، في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد،سلسلة عام المعرفة ٢٤٠.
- ١٣- عبدالوهاب الرقيق، في السرد، دراسات تطبيقية،دار محمد علي الحامي، تونس، عام ١٩٩٨.
- ١٤- عزيز حنا داود،الشخصية بين السواء المرض، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.
- ١٥- د.عمادالدين خليل، السيف والكلمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٧.
- ١٦- عمرو كناري،الفضاء الروائي في اعمال سحر خليفة، مطبعة انغويرنت، فاس ، ط١، ٢٠١١.
- ١٧- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مطبعة مصري، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.
- ١٨- مجموعة من الباحثين، نظرية المنهج الشكلي((نصوص الشكلايين الروس))، ت:ابراهيم الخطيب، الشوكة المغربية للناشئين المتحدنين، مؤسسة الابحاث العربية، الرباط، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

فضاء الشخصية في رواية السيف والكلمة لعماد الدين خليل

د. ديوالي حاجي جاسم

١٩- منيب طه البوريمي، الفضاء الروائي في (الغربة) الاطار والدلالة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٢٠- نهاد التكرلي، الرواية الفرنسية الجديدة، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٥م.

٢١- يوسف الشاروني، القصة القصيرة: نظريا وتطبيقيا، القاهرة، ١٩٧٧.

الرسائل الجامعية

١- احمد طه احمد الشعبي، الشخصية في سلسلة روايات اسلامية معاصرة لنجيب الكيلاني، اطروحة دكتوراه، جامعة الموصل كلية الاداب، جمادي الاول ١٤٢٧هـ، حزيران ٢٠٠٦م، اشراف دكتور مؤيد محمد صالح البوزيكي.

٢- فنار خليل مجيد جامد، الوصف في روايات علي الجارم، رسالة ماجستير، جامعة موصل، كلية التربية في قسم اللغة العربية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣- محمد ايوب، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، ١٩٦٧-١٩٩٣/١٩٦٦هـ/١٩٩٦م رسالة ماجستير، جامعة نجاح الوطنية، في الاداب والنقد الفلسطيني الحديث.

الدوريات

١- الطائع الحدادي، عن تداخل البنى السردية والتركيبية للعالم، مجلة الاقلام، العدد السادس، حزيران، ١٩٨٧.

٢- محمد العافية، سيمائية اسماء الاعلام في الوقائع الغربية، مجلة الاقلام، السنة الخامسة والعشرون، العدد:٦، حزيران ١٩٩٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

٣- محمد العماري، بلاغة اسم العلم في نساء (آل الرندي)، مجلة علامات، العدد(١٥) ٢٠٠١.

٤- مفيد نجم، كائنات من ورق، الشخصية الروائية في الروايات اماراتية، مجلة نزوة، العدد السابع والستون، ٢٤/٨/٢٠١١.

٥- يماني العيد، دلالات النمط السردى، في الخطاب الروائى، تحليل رواية (رحلة غاندى الصغير)، ملتقى السيميائية والنص الأدبى عناية، ١٩٩٥.

ABSTRACT

The culture of the historian great. The man of letter called Imad Al Dean Khalil diversified ; therefore his products came abundant. The novel (Sword and Word) came as a nature fruit of his long period experience, and the suffering of Iraq across very long times. Whereas it describes a crucial period of the Islamic nation history ; may the history repeats itself as to the Iraqis.

So ; I decided to choose this novel to study through its characters from atmospheres diversifies and expanded upon all of the chapters of the novel.

Thus, we prefaced to clarity briefly the two terms the atmosphere and personality, then followed within a summary about

the novel, the essence of the naming, and the range of its conformity with the vision of the author himself.

Then we divided our study to four atmospheres according to four researches namely: firstly, the external atmosphere, then secondly, the internal atmosphere, also thirdly, the functional atmosphere, also fourthly, the nominal atmosphere.